

أضواء البيان

@ 530 { وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } أي ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول : سبقه على كذا أي غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه أي وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدمناه . .
وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونِ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } وقوله تعالى { إِنَّ أَجَلَ اللَّامِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ } ، وقوله تعالى { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ } [كِتَابًا] مَّؤُودًا } إلى غير ذلك من الآيات . .

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : { عَلَيَّ أَنْ زُجِّدَ لِي أَمْثَالَكُمْ } ليس متعلقاً بمسبوقين بل بقوله تعالى : { نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ } والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم ، أي نبدل من الذين ماتوا أمثالاً لهم نوجدهم . .

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذين ماتوا وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب [كقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَبْخِلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ كَمَا آتَى أَنْشَاءَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة قدرنا بالتحديد مناسبة لهذا الوجه ، وكذلك لفظة بينكم . .

الوجه الثاني : أن قدرنا بمعنى قضينا وكتبنا أي كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب [كقوله تعالى : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا } وَجْهَهُ } ، وقوله تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } ، وقوله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } ، وعلى هذا القول فقوله : { عَلَيَّ أَنْ زُجِّدَ لِي } : متعلق بمسبوقين أي ما نحن مغلوبين والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم . .

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب [كقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ } أَي يَهْلِكُ النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيَّ ذَالِكًا قَدِيرًا } وقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَبْخِلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ } ،

وقوله تعالى : { إِنْ يَشَاءُ يُدْرِئْكُمْ وَيَأْتِ